توبة الفرزدق

أعددت شهادة أن لا إله إلا الله

حدثنا أبو بكر بن الأنباري، قال: حدثنا أبو عبدالله المقدمي القاضي، قال: حدثنا أحمد بن منصور، قال: حدثنا عمرو بن صالح الكلابي، قال: حدثنا إياس بن أبي تميمة الأفطس، قال: شهدت الحسن البصري في جنازة أبي رجاء العطاردي وهو على بغلة والفرزدق يسايره على نجيب وكنت على حمار لي، فدنوت منهما فسمعت الفرزدق يقول للحسن: يا أبا سعيد، أتدري ما يقول أهل الجنازة؟ قال: وما يقولون؟ قال يقولون: هذا خير شيخ بالبصرة، وهذا شر شيخ بالبصرة!!. قال: إذاً يكذبوا يا أبا فراس، رُبَّ شيخ بالبصرة مشرك بالله فذلك شر من أبي فراس، ورُبَّ شيخ بالبصرة ذي طمرين لا يؤبه له لو أقسم على الله لأبرّه، فذلك خير من الحسن يا أبا فراس، ما أعددت لهذا اليوم؟ قال: شهادة أن لا إله إلا الله مذ ثمانون سنة، ثم قال: يا أبا سعيد، هل إلى التوبة من سبيل؟ قال: إي والله، إن باب التوبة مفتوح من قبل المغرب عرضه أربعون [1] لا يغلق حتى تطلع الشمس من قبله، قال: يا أبا سعيد، فكيف أصنع بقذف المحصنات؟ قال: تتوب الآن وتعاهد الله ألا تعود، قال فإني أعاهد الله ألا أقذفَ. أو قال أسبَّ. محصنةً بعد يومي هذا*.

❖ ❖ ❖

وقيل: لما توفيت النوار زوجة الفرزدق حضر جنازتها وجوه أهل البصرة، وحضر الحسن فسايره الفرزدق، وقال له، أتدري ما يقول الناس يا أبا سعيد؟ فقال: وما يقولون؟ قال: حفر هذا القبر خير الناس وشر الناس، فقال الحسن: وما يريدون بذلك؟ قال: يزعمون أنك عافاك الله خير الناس، وأني شر الناس، فقال الحسن: لستُ بخيرهم، ولستَ بشرهم، ولكن ما أعددت لمثل هذا اليوم؟ فقال شهادة أن لا إله إلا الله منذ ستين سنة، فلما دفنت النوار، قال الفرزدق:

أخاف وراء القبر إن لم تعافني	أشد من القبر التهابا وأضيقا
إذا قادني يوم القيامة قائد	عنيف وسواق يسوق الفرزدقا
لقد خاب من أولاد آدم من مشى	إلى النار مغلول القلادة موثقا

فبكى الحسن حتى انتحب، وقال: إن من الشعر لحكمة، ثم قال: يرحمك الله يا أبا فراس! اعمل لمثل هذا اليوم، إن كنت ذا نظر صحيح؟ فإنك تقدم على جواد عدل، وكأن قد [2]، ثم افترقا. ومات الفرزدق فرؤي في النوم، فقيل له: كيف كان قدومك على الله سبحانه؟ فقال: رُحِمْتُ بيومي مع الحسن** ■

---

(١) هكذا بالنسخ: «أربعون» دون ذكر التمييز.ط

(٢) أي كأنك قد قدمت على الله، أي سرعان ما سيكون قدومك.

* الأمالي لأبي علي القالي رقم (١٦٩٨)، ص٥٤٦، نشر مؤسسة الكتب الثقافية، بيروت، ط١، ١٤٢٢هـ، ٢٠٠١م.

** كتاب الزهد للحسن البصري، جمع وتحقيق د. محمد عبدالرحيم محمد، نشر دار الحديث، القاهرة.